ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

الميزان والمسائل المتعلقة به

Libra and related issues

يحيى غُشِّي

جامعة غرداية (الجزائر)، ghochi.yahia@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإستلام: 25/ 08 / 2021 **تاريخ القبول**: 21/ 09 / 2021 **تاريخ النشر**: 30/ 09 / 2021

ملخص:

اشتملت هذه الدراسة على موضوع مهم من مواضيع العقيدة، وهو الميزان الذي ينصبه المولى ﷻ يوم القيامة؛ لإظهار مقادير أعمال العباد في عرصات يوم القيامة، وهو من أمور الغيب التي يجب على المسلم الإيمان بها.

فتطرقتُ في بداية المقال لبيان المدلول اللغوي والاصطلاحي للميزان، ثم أشرتُ بعد ذلك في ذكر الأدلة الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على إثبات الميزان.

وفي آخر المقال ذكرت بعض المسائل المتعلقة بالميزان، من الحكمة من نصب الميزان، وشيئاً من صفاته، وبعدها مسألة هل الميزان واحد أو متعدد؟، ثم ذكر خلاف العلماء في الأشياء التي توزن، وختمتُ المقال بخاتمة أجملتُ بها أهم نتائج البحث.

الكلمات المفتاحية: نصب؛الميزان؛ المسائل؛ المتعلقة؛ الأدلة.

***

Abstract:

This study included on an important topic for the topcs of faith lt is the scale that god will set on the day of resurrection to show the measure of the deeds of the servants on the day of resurrection.

At first, l mentioned the linguistic and idiomatic meaning, then he mentioned the legal evidence in proving the balance, then there are issues of balace.

The coclusion mentioned the most important result.

Key words: set up,balance, matters, related, evidence.

ا. مقدمة:

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الإيمان بالميزان أحدُ مفردات الإيمان باليوم الآخر، وقد جاءت النصوص الشرعية الكثيرة بإثباته، فهو حقٌ يجب الإيمان به، كما يجب الإيمان بجميع ما أخبر به الله ﷻ في كتابه، ورسوله ﷺ في سنته.

ونصبُ الله ﷻ للميزان يوم القيامة، راجعٌ لحكمٍ كثيرة، ولعل من أعظمها: ظهور كمال عدله ﷻ بين خلقه، ذلك أن الحساب هو في الأصل لتقرير الأعمال، والميزان لإظهار مقادير تلك الأعمال.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع؛ ولعل من أعظمها: ترسيخ وتثبيت المعتقد الصحيح في القلوب، المبني على النصوص الشرعية الثابتة، فتظهر بذلك الآثار الإيمانية التربوية المرجوة للأمور العقدية.

فأحببتُ الكتابة في هذا الموضوع، وجمع ما يتعلق به على ضوء ما وردت به النصوص الشرعية، وكلام العلماء فيه.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية البحث في هذا الموضوع من خلال النقاط التالية:

1- إن الإيمان بالميزان له تعلقٌ مباشر بالإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان الإيمان الستة، والذي لا يصح إيمان العبد إلا به.

2- إن دراسة مثل هذه القضايا العقدية، هو في الحقيقة تقرير للمعتقد الصحيح، الذي تؤكده وتثبته النصوص الشرعية.

3- إن للإيمان الصحيح بالميزان الذي ينصبه الله ﷻ في عرصات يوم القيامة، آثاراً إيمانية تربوية على العبد المؤمن في دينه، وخلقه؛ فيحرص العبد على تزكية نفسه باستقامتها على شرع الله ﷻ.

4- إن طرق مثل هذه القضايا يتضح به الجانب العلمي الذي أصّله العلماء في تعاملهم مع مسائل الاعتقاد عموماً.

5- الفائدة الحاصلة إن شاء الله تعالى من جمع شتات ما يتعلق بموضوع الميزان، وحسن ترتيبه وعرضه على حسب الخطة المعتمدة، وإظهار لأهميته، وبيان لأثره في اعتقاد المسلم.

منهج البحث:

اتبعتُ في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، لملاءمته طبيعة موضوع هذا البحث، وكانت الإجراءات المتبعة في ذلك على النحو الآتي:

1- جمع المادة العلمية الخاصة بموضوع البحث، وحسن توزيعها وترتيبها وفق الخطة المعتمدة.

2- توثيق النقول من مصادرها، ونسبتها إلى قائلها ما ودتُ إلى ذلك سبيلاً.

3- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في القرآن بذكر السورة ورقم الآية.

4- تخريج للأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما، وإن لم يوجد فيهما، فأعزوه إلى كتب السنة الأخرى مع ذكر الحكم عليه من كلام أهل العلم عليه.

5- ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في البحث.

6- شرح الكلمات الغريبة.

7- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

خطة البحث:

قسّمتُ هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، بيانها تفصيلاً على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على الافتتاحية، وأهمية الموضوع، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريف الميزان. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الميزان في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الميزان في الاصطلاح.

المبحث الثاني: أدلة إثبات الميزان. وفيه مطلبان:

المطلب الأول:أدلة إثبات الميزان من القرآن الكريم.

المطلب الثاني:أدلة إثبات الميزان من السنة النبوية.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالميزان. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحكمة من نصب الميزان وبعض صفاته.

المطلب الثاني: هل الميزان واحد أو متعدد؟

المطلب الثالث: أنواع الموزون في الميزان.

الخاتمة: وأذكر فيها أهم نتائج البحث.

الفهارس: واكتفيتُ بذكر فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

وأسال الله ﷻ التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: تعريف الميزان.

جعلتُ هذا المبحث للتعريف بالميزان وبيان مدلوله في اللغة والاصطلاح؛ ذلك أن الحكم على الشيء- كما يُقال- فرعٌ عن تصوره، وكان الكلام عن ذلك ضمن مطلبين على النحو الآتي:

المطلب الأول: تعريف الميزان في اللغة.

الميزان في اللغة: أصله مِوْزان، انقلبت الواو ياءً للكسرة التي قبلها.(الجوهري، دت : 2213/6).

قال ابن فارس عن أصل الكلمة:" والواو والزاء والنون: بناءٌ يدلُّ على تعديلٍ واستقامة: ووزَنْتُ الشّيءَ وزْناً. والزِّنَة قَدرُ وزنِ الشَّيء؛ والأصل وَزْنَة. ويقال: قام مِيزانُ النَّهار، إذا انتصَفَ النَّهار. وهذا يُوازِنُ ذلك، أي: هو مُحاذِيه". (ابن فارس، 1979م : 107/6).

وقال الراغب الأصفهاني معنى اللفظة:" الوَزْنُ: معرفة قدر الشيء. يقال: وَزَنْتُهُ وَزْناً وزِنَةً، والمتّعارف في الوَزْنِ عند العامّة: ما يقدّر بالقسط والقبّان (القَبَّانُ: القسطاس . معرب. الرازي، :560.)". (الراغب الأصفهاني، دت : 868).

والوَزْن:" فِعْلُ الوَزّانِ ما يَزِنُ بالمِيْزانِ". (الصاحب بن عباد، دت :305/2).

و" الوَزْنُ: ثَقْلُ شيءٍ بشيءٍ مِثْلِه، كأَوْزَانِ الدَّرَاهِم". (الزبيدي،دت :250/36).

ومما تقدم ذكره يتضح أن الميزان أصله مِوْزان، انقلبت الواو ياءً للكسرة التي قبلها، وأنهفي لغة العرب مشتق من مادة الفعل (وزن)، والوزن هو: معرفة قدر الشيء. وَوَزَن الشيءَ: أي: قدّره بوساطة الميزان.ووازن بين الشيئين: ساوى وعادل بينهما.(الفيروزآبادي، 2005م: 1597).

كما جاء في لسان العرب، وغيره: أن الميزان هو: الآلة التي يوزن بها الأشياء. (ابن منظور،دت : 446/13)

ويُجمع على: موازين.

المطلب الثاني: تعريف الميزان في الاصطلاح.

الميزان في الحقيقة هو من الأمور المغيبة التي جاءت بها النصوص الشرعية، والتي يجب على العبد المسلم الإيمان بها.

فالإيمان بالميزان من أصول الإيمان باليوم الآخر.

فإذا كان هذا هو الحال إذن، فلا يُتكلم في حقيقة هذا الميزان، أو التعريف به إلا وفق ما جاءت به النصوص الشرعية.

فالمراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي، هو الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه، كما أخبر عنه النبي ﷺ في سنته؛لإظهار مقادير الأعمال.

وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان، يضعه الله ﷻ يوم القيامة لتوزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، ونحوها. (عواجي، 1430هـ : 1085/3).

قال ابن عباسﷺ: "الميزان له لسان وكفتان". (السيوطي، دت :3/ 418).

وقال الثعالبي رحمه الله، موّضحاً لحقيقة الميزان:" فميزان القيامة، له عمود وكفتان، على هيئة موازين الدنيا". (الثعالبي ،دت :4/2).

وقال الزجاج أيضاً:"إن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال". (ابن حجر، 1379هـ :538/13).

المبحث الثاني: أدلة إثبات الميزان.

لما فرغتُ من الحديث عن التعريف بالميزان في اللغة والاصطلاح، خصصتُ هذا المبحث للكلام عن الأدلة الشرعية لإثبات الميزان، ولكون هذه الأدلة على قسمين: أدلة من القرآن الكريم، وأدلة أخرى من السنة النبوية، تفرع عن هذا المبحث المطلبين التاليين:

المطلب الأول: أدلة إثبات الميزان من القرآن الكريم.

قد دلت الآيات القرآنية الكثيرة على إثبات الميزان، ومن وجوهٍ عديدة، نذكر من ذلك الآتي:

1- قوله تعالى: ((وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (8) وَمَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ فَأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ(9))) [الأعراف: ٨ – ٩].

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:" وَالْوَزْنُ أي: للأعمال يوم القيامة، الْحَقُّ، أي: لا يظلم تعالى أحداً". (ابن كثير، 1999م :389/3).

وقال ابن سعدي أيضاً في بيان معناها:" أي: والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط، الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه". (ابن سعدي، 2000م : 283).

2- وقوله تعالى: ((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)) [الكهف:١٠٥].

قال ابن عجيبة الأندلسي موّضحاً معناها:"لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزانًا؛ لأن الكفر أحبطها، أو لا نقيم لهم وزنًا نافعًا". (ابن عجيبة ، 2002م :291/4).

وقال ابن سعدي في تفسيرها أيضاً" لأن الوزن فائدته، مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها، وهو الإيمان".(ابن سعدي،2000م : 487).

3- وقوله تعالى: ((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ)) **[الأنبياء: ٤٧].**

قال العلامة الشنقيطي عن الآية:" ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أنه يضع الموازين القسط ليوم القيامة؛ فتوزن أعمالهم وزناً في غاية العدالة والإنصاف، فلا يظلم الله أحداً شيئاً، وأن عمله من الخير والشر، وإن كان في غاية القلة والدقة كمثقال حبة من خردل، فإن الله يأتي به؛ لأنه لا يخفى عليه شيء وكفى به جل وعلا حاسباً؛لأحاطة علمه بكل شيء". (الشنقيطي ،1995م :158/4).

4- وقوله تعالى : فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (102) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (103))) [المؤمنون: ١٠٢ – ١٠٣].

قال العز بن عبد السلام في تفسير الآية:" والوزن القضاء بالعدل، أو موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان توضع الحسنات في إحداهما والسيئات في الأخرى". (العز بن عبد السلام ، 1996م : 334).

5- وقوله تعالى: ((فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (7) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (8) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (9))) [القارعة: ٦ – ٩].

قال ابن كثير في تفسيره للآيات:" فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ أي: رجحت حسناته على سيئاته، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ يعني: في الجنة، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، أي: رجحت سيئاته على حسناته". (ابن كثير،1999م :468/8).

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمات، والتي دلَّت دلالة قاطعة على إثبات الميزان يوم القيامة.

المطلب الثاني: أدلة إثبات الميزان من السنة النبوية.

أما بخصوص أدلة السنة النبوية على الميزان، فقد تواترت الأحاديث النبوية بإثباته (السفاريني،1982م : 185/2)، وينظر أيضاً: نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص 231، لمحمد بن جعفر الكتاني.، أذكر من تلك الأحاديث على سبيل المثال الآتي :

1- قوله ﷺ:" كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده". (البخاري،دت :68/8)

قال بدر الدين العيني في معنى الحديث:" (قوله ثقيلتان في الميزان): الثقل فيه على حقيقته؛ لأن الأعمال تتجسم عند الميزان، والميزان هو الذي يوزن به في القيامة أعمال العباد". (العيني، دت :160/13).

2- وقوله ﷺ:" الطهورُ شطرُ الإيمان والحمد لله تملأُ الميزان". (مسلم ،دت :203/1)

قال النووي عند شرحه للحديث:" وأما قوله صلى الله عليه وسلم (والحمد لله تملأ الميزان) فمعناه: عظم أجرها، وأنه يملأ الميزان، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها". (النووي، 1392هـ :101/3).

3- وقوله ﷺ:" ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذي". (الترمذي، دت : 140/6)

قال ابن علان في معنى الحدث:" وهذا الحديث ظاهر في أن نفس العمل يوزن بأن يجسد. وتجسد المعاني جائز". (ابن علان،2004م :80/5).

إلى غير ذلك من الأحاديث النبوية الصحيحة، التي تدل بمجموعها دلالة واضحة على إثبات الميزان يوم القيامة.

المبحث الثالث: المسائل العقدية المتعلقة بالميزان.

لما أنهيتُ الحديث عن أدلة إثبات ميزان يوم القيامة، جعلتُ الكلام في هذا المبحث عن المسائل العقدية المشهورة، والتي لها تعلق بالميزان، كما أن العلماء ذكروها أو أشاروا إليها عند حديثهم عن الميزان، فكان ذلك ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الحكمة من نصب الميزان وبعض صفاته.

سنأتي في هذا المطلب عن بيان الحكمة من نصب الميزان، وإظهار جملة من الصفات والتي نُعت بها ميزانُ يوم القيامة، وذلك على النحو الآتي:

أولا: الحكمة من نصب الميزان:

لاشك أن أفعال الله ﷻ ترجع لحكمٍ عظيمة، وهذا الذي ينبغي على المسلم اعتقاده، وعند الرجوع لما ذكره العلماء في هذه المسألة، نجدهم قد ذكروا حكماً عظيمة، والتي لأجلها نصب المولى ﷻ الميزان يوم القيامة، أجمل ذكرها في النقاط التالية:

1. تعريف العباد وإعلامهم بما لهم من الجزاء والأعمال:

ذلك أن الحساب في الجملة لتقرير الأعمال، وأما الميزان فهو لإظهار مقادير تلك الأعمال.

فجيء بالميزان لأجل أن يرى الإنسان ما عمله من بداية تكليفه إلى أن توفي، يراه أمام عينيه، ولهذا جاء في قوله تعالى: ((وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا)) [الكهف: ٤٩]، فيُعرِّف الله تعالى عباده بما عملوه من خير أو شر.

قال القرطبي:" قال العلماء: وإذا انقضى الحساب كان بعد وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها". (القرطبي ، دت :715).

2ـ لإظهار عدل الله ﷻ، وأنه الحكم العدل:

وقد أشار العلماء لهذا بقوة، وأن أعظم الحكم الإلهية في نصب الميزان: بيان عدلهﷻ، وأن الناس لن يُظلموا عنده أبداً: **((وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ))** [الأنبياء: ٤٧]

قال الشيخ مرعي:" الحكمة فيه إظهار العدل وبيان الفضل؛ حيث أنه يزن مثقال الذرة من خير أو شر". (مرعي، دت : 188/2).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا عن الحكمة من وزن الأعمال:"أنه يكون أعظم مظهر لعدل الرب تبارك وتعالى، أي ولعلمه وحكمته وعظمته في ذلك اليوم العظيم". (محمد رشيد رضا،1990م :8/ 324).

3ـ إقامة الحجة على خلقه :

ومن العلماء من قال: إنما جعلت الموازين، والناس يشاهدون هذا الوزن، ويرون الصغير والكبير يعرض، لإقامة الحجة عليهم، ويطمئن الإنسان بعدها، فمن دخل الجنة -ونسأل الله أن نكون من أهلها- فرح وسعد، ومن دخل النار-نعوذ بالله منها- يكون قد علم أنه إنما دخل ذلك بسبب ما قدمت يداه في هذه الحياة الدنيا.

قال ابن العربي:" نصب الميزان وإنما ذلك لحكمة ليرى الخلق عيانا، ما كان أخبرهم عنه برهانا، وللعيان تأثير لا بد منه في الدنيا والآخرة". (ابن العربي، دت: 246).

ثانيا: صفات الميزان:

نؤمن بالميزان الذي توزن به الحسنات والسيئات وأنه حق، وله لسان وكفتان توزن به صحائف الأعمال، وهو من أمور الآخرة نؤمن به كما جاء ولا نبحث عن كيفيته إلا على ضوء ما ورد من النصوص.

وقد جاءت جملةٌ من الصفات، والتي نُعت بها ميزان يوم القيامة، وذلك من خلال ما ورد من النصوص عن ذلك، وسأذكر شيئاً من ذلك على النحو الآتي:

1- عن ابن عباس ﷺ قال:"هو ميزان له لسان وكفتان". (ابن الجوزي، 1422هـ : 3/ 171)

2- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول:"خلق اللَّه كفتي الميزان مثل السماء والأرض، فقالت الملائكة: يا ربنا لمن تزن بهذه؟. قال: أزن به من شئت". (السيوطي، دت: 3/ 420).

3- وذُكر الميزان عند الحسن البصري، فقال:" له لسان وكفتان ". (الآجري،1999م : 1329/3)

وغيرها من الآثار، والأقوال التي وردت بشأن ذلك، ما جعل أهل العلم يذكرون تلك الصفات في كتبهم، لعلي أُشير لبعضها فيما يلي:

- قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى:" فقال أهل الحق: له لسان وكفتان، توزن في إحدى كفتيه الحسنات، وفي الأخرى السيئات". (الأشعري، دت : 164/2).

- وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:" بيان كون الميزان له كفتان حسيتان". (ابن كثير، 1999م : 20/2).

- وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى:" والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان". (ابن أبي العز الحنفي،1418هـ : 609/2).

فتبين مما تقدم ذكره أن لميزان يوم القيامة صفاتٍ من أهمها: أن له لسان وكفتان، والله أعلم.

المطلب الثاني: هل الميزان واحد أو متعدد؟

هذه المسألة قد اختلف فيها العلماء على أقوالٍ، ومنشأ هذا الخلاف لورود لفظة الميزان في النصوص الشرعية بلفظ الجمع والإفراد، لأجل ذلك جاء هذا التساؤل: هل الميزان الذي ينصبه الله ﷻ يوم القيامة واحد، أو موازين متعددة، وبالرجوع لما ذكره العلماء في هذه المسألة، نجد أن آراؤهم يمكن إجمالها في القولين الآتين:

القول الأول: إن الميزان متعدد، أي: عدة موازين:

ومدلول أصحاب هذا القول أن هناك عدة موازين، ثم اختلفوا بعد ذلك:

فقيل: أنه متعدد بعدد الأمم، يعني: كل أمة لها ميزان خاص بها.

وقيل: أنه متعدد بحسب الأفراد، يعني: لكل فردٍ خاص به، قال الحسن البصري:" لكل واحد من المكلفين ميزان". (السافريني ، 1982م :186/2).

وقيل: أنه متعدد بحسب الأعمال، يعني: كل عملٍ له ميزان.(الرزاي،1420هـ :23/14).

والقائلون بتعدد الميزان، احتجوا بأنه لم يرد في القرآن إلا بصيغة الجمع، وأما قوله تعالى: ((**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**)) [الرحمن: ٧]، فالميزان هنا بمعنى العدل.

القول الثاني:إن الميزان واحد لجميع الأمم والأعمال:

مدلول هذا القول بأنه ميزانٌ واحد لجميع الأمم والأعمال، واحتجوا لذلك بوروده في السنة النبوية مفرداً، وإنما جُمعت الموازين في القرآن الكريم لكثرة من توزن أعمالهم.(ابن حجر، 1379هـ : 547/13).

وقد ردَّ عليهم أصحاب القول الأول القائلين بالتعدد في قوله ﷺ:" والطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان"، قالوا: هذا افرادٌ باعتبار الجنس، وأما الأصل فهو متعدد.

وأما أصحاب القول الثاني القائلين بالإفراد، وأنه ميزان واحد، أجابوا على أدلة من قال أنه متعدد، قالوا: أنه جُمع باعتبار الموزون، والموزون لاشك أنه مختلف متعدد.

وحقيقةً القولان قويان، كما أن الأدلة قوية أيضاً، والله أعلم بالصواب.

وقد رجح الحافظ ابن حجر رحمه الله بعد أن نقل أقوال العلماء في هذه المسألة قول من قال: أن الميزان واحد؛ حيث قال:" والذي يترجح أنه ميزان واحد، ولا يُشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيف بأحوال الدنيا".(ابن حجر، 1379هـ : 538/13).

المطلب الثالث: أنواع الموزون في الميزان.

المراد بموضوع هذا المطلب الإجابة على السؤال المتبادر في الذهن: ما الذي يوزن في الميزان ؟

وبالرجوع لما ذكره العلماء في هذه المسألة، نجد أن هناك ثلاثة أقوال قوية ومشهور، أسوقها على النحو الآتي:

القول الأول: أن الأعمال هي التي توزن:

أي أن الذي يزون في الميزان يوم القيامة هي الأعمال نفسها، والأعمال وإن كانت عرضاً، فإن الله قادرٌ على أن يجعلها أجساماً.

وقد احتجوا بما سبق ذكره من الأحاديث: قوله ﷺ:" كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده"، وقوله عليه السلام:" الطهورُ شطرُ الإيمان والحمد لله تملأُ الميزان".

القول الثاني: أن العامل هو الذي يوزن:

ومعنى هذا القول أن الذي يوزن هو صاحب العمل نفسه، واحتجوا بما رواه الشيخان، أن رسول الله قال: " إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا : ((أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)) [الكهف: ١٠٥]". (البخاري،دت : 93/6)

واحتجوا أيضاً بحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، لما صعد الشجرة، فنظر أصحابه إلى دقة ساقيه، فضحكوا منهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما تضحكون ؟ لرِجْل عبد الله في الميزان أثقل من أحد". (الطبراني،دت :78/9)

القول الثالث: أن صحف الأعمال هي التي توزن:

مدلول هذا القول أن الذي يوزن في ميزان يوم القيامة، هي الصحف التي كتبت بها الأعمال، احتج أصحاب هذا القول- وهم جمهور العلماء- بحديثٍ يُعرف بحديث البطاقة، يقول فيه النبي ﷺ:" إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول: لا يا رب، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول: لا يارب فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال: إنك لا تظلم قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء". (الترمذي،دت :24/5)

والأقوال في الموزون كلها قوية، ولعله يُجمع بينها أن يقال: كل ذلك يمكن أن يوزن لورود الدليل عليه، ولكن العبرة بالعمل الذي عليه مدار ثقل الميزان وخفته.

قال ابن كثير رحمه الله:" وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم". (ابن كثير، 1999م: 390/3).

خاتمة:

في نهاية هذا البحث، أذكر أهم نتائجه في النقاط التالية:

1- إن الميزان في الشرع: هو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان، يضعه الله ﷻ يوم القيامة لتوزن به أعمال العباد، خيرها وشرها، ونحوها.

2- إن هناك أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية جاءت بإثبات الميزان.

3- إن في نصب الميزان يوم القيامة يرجع لحكم إلهية كثيرة، أعظمها: إظهار عدل الله ﷻ، وأنه الحكم العدل.

4- إن لميزان يوم القيامة صفاتٍ من أهمها: أن له لسان وكفتان.

5- اختلف العلماء في مسألة هل الميزان واحد أو متعدد؟ على قولين: الأول: إن الميزان متعدد، أي: عدة

موازين، والثاني: إن الميزان واحد لجميع الأمم والأعمال.

6- كما اختلف العلماء في مسألة أنواع الموزون في الميزان إلى ثلاثة أقوال:

الأول: أن الأعمال هي التي تُوزن.

الثاني: أن العامل هو الذي يُوزن.

الثالث: أن صحف الأعمال هي التي توزن.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع:

- محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1415 هـ - 1995 م
- أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الفاسي أبو العباس، البحر المديد، بيروت، دار الكتب العلمية، 2002 م - 1423 هـ
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية.
- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق ودراسة: الصادق بن محمد بن إبراهيم.
- محمد رشيد بن علي رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م.
- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي:

  تفسير القرآن العظيم، بن محمد، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999 م.

  النهاية في الفتن والملاحم، بيروت، دار الجيل، 1408 هـ - 1988 م.
- عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000 م.
- محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن.
- غالب بن علي عواجي، الحياة الآخرة ما بين البعث إلى دخول الجنة أو النار، الدار العصرية، 1430هـ.
- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، بيروت، دار الفكر.
- محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، 1425 هـ - 2004 م
- جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، بيروت، دار الكتاب العربي، 1422 هـ
- صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، السعودية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418هـ
- أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ، الشريعة، السعودية، دار الوطن، 1420 هـ - 1999 م
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري.
- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

- الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، العز بن عبد السلام تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، بيروت، دار ابن حزم، 1416 هـ - 1996م.
- أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري، العواصم من القواصم.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426 هـ - 2005 م.
- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار صادر.
- شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، 1402 هـ - 1982 م.
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، بيروت، المكتبة العصرية - الدار النموذجية ، 1420هـ / 1999م
- سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، القاهرة، مكتبة ابن تيمية.
- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420 هـ
- أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن.
- علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين.
- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1392هـ
- أبو عبد الله محمد بن أبي الفيض جعفر بن إدريس الحسني الإدريسي الشهير بـ الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، مصر، دار الكتب السلفية.